

Revelation of the Quran Concerning Methods of Distortion in the Torah and the Bible: An Analytical & Critical Study

Md Masum Billah^{1*}, Abdur Rahim², Adel M Abdulaziz Al Geriani³, Somayah Azad⁴

^{1,2,4}PhD Reasearchers Department of Shariah and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdul Aziz University, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia, ³Malay Islamic Product & Civilization Research Institute, Sultan Zainul Abedin University, Malaysia

mdbillah84@gmail.com

Abstract. This study basically aims at highlighting the ways used by Jewish rabbis and Christian monks in distorting the divine Torah and Gospel respectively in the light of Qur'anic verses that deal with those manners of distortion. The methods used in this study are inductive and analytical whereby the researcher collected the data concerning the distortion of the Torah and Gospel from the classical and contemporary books of Qur'anic interpretation, other books and on-line sources related to the study. After the data collection, the researcher followed the analytical method to establish the evidence on the ways of distortion. It is followed by a critique of Jewish and Christian tactics in distortion. The most important findings of this study is: seventeen verses of the Holy Qur'an have disclosed 11 ways applied by the Jews and Christians in their distortion activities: (1) attributing human works to the words of Allah SWT; (2) hiding a number of revealed texts; (3) mixing up the truth with falsehood; (4) mispronouncing the sacred texts; (5) pushing to oblivion a great portion of the Biblical texts memorized by rabbis and monks; (6) following only those favourable rules of Torah and Gospel and rejecting unfavourable ones; (7) telling lies and accusing others of speaking lies; (8) suspending practical relevance of revelation; (9) believing in some verses of the divine book and rejecting some others; (10) ignoring the divine texts; and (11) making speculations. This study also has pointed out to the models of distortion methods.

Keywords. al-Quran, Methods, Distortion, Torah, Bible

المخلص:

تهدف هذه المقالة بصورة أساسية إلى إبراز الأساليب التي اتبعتها أحيار اليهود ورهبان النصارى في أنشطة التحريف في التوراة والإنجيل الإلهي، في ضوء الآيات القرآنية المشيرة إلى تلك الأساليب. واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، حيث قام الباحث بجمع الشواهد والمعلومات المتعلقة بأساليب التحريف الذي حدث في التوراة والإنجيل من التفسير القديمة والحديثة، وغيرها من الكتب العامة، وصفحات الإنترنت. وبعد الانتهاء من جمع المعلومات المهمة، اعتمد الباحث على المنهج التحليلي في إقامة الشواهد على الأساليب، ثم حاول أن يستخرج الأساليب من الآيات القرآنية ومن المعلومات العامة. وأهم ما توصلت إليه الدراسة، هو أن سبع عشرة آية من القرآن الكريم كشفت 11 أساليب المتبعة في أنشطة التحريف، وهي: وضع كتب من عند أنفسهم ونسبتها إلى الله تعالى؛ وكتمان كثير من النصوص الإلهية المنزلة؛ وليس الحق بالباطل؛ ولي الألسنة؛ ونسيان الأحيار والرهبان لنصيب وافر مما يحفظونه من نصوص التوراة

والإنجيل؛ واتباع أحكام التوراة والإنجيل عند موافقتها لما في أنفسهم وإلا تركوها؛ والكذب والتكذيب؛ والتعطيل؛ والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض الآخر؛ والإهمال؛ والظن. وهذه الدراسة أيضا تبين نماذج تطبيق أساليب التحريف.
الكلمات المفتاحية: القرآن، أساليب، التحريف، التوراة، الإنجيل.
المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد، فإن الآية رقمها 58 من سورة الحديد أوضحت أن الله تعالى أرسل الرسل بالكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط، كما أشارت إلى أن عدد الرسل كثير والكتاب واحد؛ لأن لفظ "الرسال" جا في الآية جمعاً، ولفظ "الكتاب" مفرداً. وانتشر هذا "الكتاب الوحيد" بأسماء متعددة بواسطة الرسل بين الناس قضاءً لحوادثهم، كالتوراة، والإنجيل، والزبور مثلاً بصورة ناقصة غير كاملة. وأما الصورة الكاملة لهذا الكتاب هو القرآن الكريم، الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهو صادق في الحديث وصالح في القضاء لكل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فالقرآن الكريم أكد في آيات كثيرة بأن التوراة والإنجيل متحرفان، وكشفت عن كثير من الأساليب المتبعة في عملية التحريف، ومنها: [مَنْ الَّذِينَ هَاتُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْنَا غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِالسَّبْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ] (Sūrat al-Nisā': 46). فحرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وغيرهما بأهوائهم حباً للسلطان، وطلباً للرياسة والغلبة والاستطالة على الناس، وأكلاً لأموال الناس بالباطل باسم الدين من قبل الأحرار والرهبان، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (Sūrat al-Tawbah: 34). وكذلك ثبت في السنة النبوية أن اليهود غيروا رجم الزاني بالتحميم، فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: مرَّ على النبي -صلى الله عليه وسلم- بيهودي محمَّماً مجلوداً، فدعاهم -صلى الله عليه وسلم- فقال: (هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟) قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: (أنتدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟) قال: لا، ولولا أنك نشدنتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه)، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر] إلى قوله: [إن أوتيتهم هذا فخذوه] (Sūrat al-Mā'idah: 41)، يقول: انتوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون] (Sūrat al-Mā'idah: 44)، في الكفار كلها (Muslim, 4/1327). وبالإضافة، أقر بعض اليهود والنصارى بهذا التحريف، ومنهم موريس بوكاي الذي قال في كتابه "التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث": "إن الإنسان ليدهش عندما يرى ردود الفعل الطائشة من جانب المفسرين المسيحيين في محاولتهم للدفاع عن هذه الأخطاء والمنتاقضات والأمور غير المعقولة بالكتاب المقدس لديهم. إن بعضهم يضع يده ويتعرف على بعض هذه الأخطاء والمنتاقضات، ولا يترددون في التعامل مع هذه المسائل الشائكة" (Muris Būkai, 1999: 73). وعلى الرغم من ذلك، لا يعرف كثير من الناس بأن القرآن الكريم كشف عن أساليب عملية التحريف في التوراة والإنجيل بشكل عام، وبشكل خاص لا يوجد البحوث ولا الكتب عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل في المكاتب الإسلامية؛ لعدم اهتمام العلماء بهذا الأمر. فلذا عزمنا أن نكتب البحث عن "كشف القرآن عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل: دراسة تحليلية نقدية". ونسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع:

أولاً: أهمية الدراسة

1. قبول كثير من المسلمين غير المثقفين في بلاد المسلمين دعوة اليهود والنصارى للتصوير، وتثبيت كتابهم، وادعائهم تجرده عن التحريف والتغيير، مما زاد أهمية الكتابة في مثل هذا الموضوع ليبين حقيقة أساليب التحريف في التوراة والإنجيل.
2. عدم كتابة أحد من العلماء المتقدمين عن أساليب التحريف التي أحدثها اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، فكتابة البحث في هذا الموضوع مهم في عصرنا هذا، الذي يتسابق فيه بعض الأديان على بعض ليسيتر عليه كما نرى في الواقع.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

1. هذا الموضوع جديد، لم يتكلم أحد من العلماء قديماً وحديثاً من منظور القرآن الكريم حسب معرفتي، ولم يتناوله أحد بدراسة وافية تُغني المكتبات الإسلامية هناك، ونظراً إلى هذا فقد قصدت بذل أقصى جهد لإثراء المكتبة الإسلامية بهذا العلم العميق وإشباع رغبة المتسائلين في هذا الموضوع.
2. كان أ. د. محمود كريت - أستاذ كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة - يشجع الطلاب أثناء محاضراته على دراسة الأديان. وقد تأثرت من أقواله ودفعتني إلى البحث عن هذا الموضوع.
3. الرغبة الذاتية في هذا الموضوع المعاصر، فلقد وجدت في نفسي ميلاً ورغبة في الكتابة عن هذا الموضوع.

تساؤلات الدراسة:

يريد الباحث أن يبين حقيقة كلام الله تعالى ببيان أساليب التحريف في التوراة والإنجيل في ضوء الآيات القرآنية مجيباً على الأسئلة الآتية:

1. ما المراد بالمصطلحات: القرآن، وأساليب، والتحريف، والتوراة، والإنجيل؟
2. ما أساليب تحريف التوراة والإنجيل التي ذكرها القرآن الكريم؟
3. ما هي نماذج في تطبيق أساليب التحريف؟

أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

1. توضيح المراد بلفظ القرآن، وأساليب، والتحريف، والتوراة، والإنجيل.
2. بيان أساليب تحريف التوراة والإنجيل التي ذكرها القرآن الكريم وأسبابه.
3. بيان نماذج تطبيق أساليب التحريف.

حدود الدراسة:

يقتصر هذا البحث على ذكر أساليب التحريف في التوراة والإنجيل من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عنها وأمثلتها، والتي سوف يجمعها الباحث من التفاسير وغيرها من الكتب التي تتكلم عن التحريف في التوراة والإنجيل.

الدراسات السابقة:

لم أجد -حسب جهدي المتواضع- أي دراسة خاصة مستقلة لهذا الموضوع، عولج فيها بيان أساليب التحريف في التوراة والإنجيل في ضوء الآيات القرآنية؛ وإن كانت هناك دراسات تتحدث عن التحريف في التوراة والإنجيل بصورة عامة، ومن أهمها:

"الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة" للقرافي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المالكي (ت684هـ)، تكلم الشيخ القرافي في كتابه هذا عن دعوى سلامة الإنجيل من التحريف، وجاء بالأدلة من القرآن الكريم التي استدلت بها اليهود والنصارى، وردَّ عليها، وذكر عدة نماذج من تناقضات الأنجيل في صفحات. ولكنه لم يتكلم عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل التي كشف عنها القرآن الكريم. فيريد الباحث أن يضيف ذلك في التراث.

"مفهوم الوحي وأثره في اليهودية والمسيحية والإسلام: دراسة مقارنة"، إعداد: عبد الرزاق عبد الله حاشي، هذا بحثٌ للمجستير، قدم في الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، مارس-2003م. بين الباحث فيه طرق الوحي ومصدره في اليهودية والنصرانية، وكذلك ذكر مفهوم الوحي من حيث الكيفية والطرق في اليهودية والنصرانية. ولم يتكلم عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل.

منهجية الدراسة:

سيستخدم الباحث في كتابة البحث من المناهج ما يأتي:

- 1- المنهج الاستقرائي: يتم السير على هذا المنهج لجمع الشواهد والمعلومات المتعلقة بأساليب التحريف الذي حدث في التوراة والإنجيل من التفاسير القديمة والحديثة، وغيرها من الكتب العامة، وصفحات الإنترنت.
- 2- المنهج التحليلي النقدي: بعد انتهاء جمع المعلومات المهمة، أعتمد على المنهج التحليلي حيث أقيم الشواهد على أساليب التحريف في التوراة والإنجيل، ثم آراء العلماء المعاصرين فيه. بعد أن يتم جمع الشواهد والمعلومات وتحليل الشواهد، يأتي الدور لنقد التوراة والإنجيل.

الهيكل العام للدراسة:

تتكون خطة الدراسة من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

فأما المقدمة:

تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، وأهداف الدراسة، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، والهيكل العام للدراسة.

المبحث الأول: المصطلحات الأساسية للموضوع من لفظ التحريف، والتوراة، والإنجيل

المبحث الثاني: كشف القرآن عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل

المبحث الثالث: النماذج في تطبيق أساليب التحريف

الخاتمة: وفيها أهم النتائج

المبحث الأول: المصطلحات الأساسية للموضوع من لفظ التحريف، والتوراة، والإنجيل

هناك ألفاظ في عنوان البحث اصطلح عليها العلماء، منها: التحريف، والتوراة، والإنجيل. وكذلك لفظ التحريف يقترب من لفظ التبديل والتحويل معني، فلا يمكن أن يتضح مفهوم عنوان البحث إلا بتوضيح المعاني الاصطلاحية لهذه الألفاظ. ومن ثم أراد الباحث أن يبين معاني هذه الألفاظ حسب استطاعته.

أولاً: المراد بالتحريف:

المعنى اللغوي: ذكر في كتب اللغة عدد من المعاني اللغوية لكلمة "التحريف" وهي كما يلي:
الأول: هو انحراف الشيء عن جهته، وميله عنها إلى غيرها. (Ibrahīm Muṣṭafā, No: 1/167)
الثاني: التغيير والتبديل. (Ibn Manzūr al-'ifriqī, 3/129)
الثالث: تغيير الكلام وإبعاده عن معناه الأصلي. (al-Jubaidī, 1996: 6/67-68)
المعنى الاصطلاحي: والمعنى الاصطلاحي للتحريف كما قال محمد سيد طنطاوي في كتابه "بنو إسرائيل في القرآن والسنة": "إخراج الوحي والشريعة عما جاءت به، بالتغيير والتبديل في الألفاظ، أو بالكتمان، والتأويل الفاسد، والتفسير الباطل". (Sayyid Ṭaṇṭawī, 2000: 467)
وقال عبد العزيز بن ناصر الجليل: "التحريف هو صرف اللفظ عن ظاهره، وما يفهمه كل عربي من معناه". (ʿabd al-'azīz, No: 8)
وقال الشاطبي: "ورد الدليل على مناط، فيُصرف عن ذلك المنط إلى أمر آخر موهماً أن المنطين واحد". (al-Shaṭībī, 2003: 1/177)

ثانياً: المراد بالتوراة:

المعنى اللغوي: قال السيد طنطاوي: التوراة هي كلمة عبرية معناها في اللغة: الشريعة، أو التعاليم الدينية. (Sayyid Ṭaṇṭawī, 2000: 71-73)
المعنى الاصطلاحي: التوراة هو الكتاب المنزّل على موسى -عليه السلام-، وعند أهل الكتاب أسفار موسى الخمسة والعهد القديم عند اليهود. (Ibrahīm Muṣṭafā, No: 1/90)
قال السيد طنطاوي: قد اعتمدت اليهود على تسعة وثلاثين سفراً، أطلق عليها اسم "العهد القديم"، ويعتبرونها أسفاراً مقدسة، أي موحى بها إلى موسى -عليه السلام-. ويطلقون على خمسة منها إطلاقاً حقيقياً اسم التوراة، أو كتب موسى؛ لأنها في - زعمهم - أنزلها الله على موسى -عليه السلام-، وكتبها موسى بنفسه. وهذه الأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، والخروج، والتثنية، واللاوين، والعدد. وأما الأربعة والثلاثون سفراً الباقية فمنسوبة إلى أشخاص كتبوها بعد موسى -عليه السلام- بأزمان متفاوتة في الطول والقصر. وهذه الأسفار أيضاً مقدسة عند اليهود، ويطلق عليها مع الأسفار الخمسة السابقة اسم التوراة، من باب إطلاق الجزء على الكل. (Sayyid Ṭaṇṭawī, 2000: 71-73)
فالمراد بالتوراة في هذا البحث: الكتاب المنزّل على موسى -عليه السلام-.

ثالثاً: المراد بالإنجيل:

المعنى اللغوي: قال صاحب لسان العرب: "والإنجيل كتاب منزّل على عيسى -عليه السلام-، يؤنث ويذكر، فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب. والأنجيل جمع إنجيل وهو اسم كتاب الله المنزّل على عيسى -عليه السلام- وهو اسم عبراني أو سرياني. والإنجيل مثل الإكليل والإخريط. وقيل: اشتقاقه من النجل الذي هو الأصل، يقال: هو كريم النجل أي الأصل والطبع". (Ibn Manzūr al-'ifriqī, 3/58)
وقد ذكر في الكتاب المقدس: الإنجيل هو اسم عبراني أو سرياني لكتاب الله المنزل على عيسى -عليه السلام-. (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008: Content page)

المعنى الاصطلاحي: ذكر في الكتاب المقدس: قد اعتمد النصرانيون على سبعة وعشرين سفراً، وعدد إصحاحاتها مائتان وستون، وأطلق عليها اسم "العهد الجديد"، ويعتبرونها أسفاراً مقدسة. ويطلق على أربعة منها إطلاقاً حقيقياً اسم الإنجيل، وهذه الأسفار الأربعة هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008: Content page)

المراد بالإنجيل في بحثنا هذا: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى -عليه السلام-.

فالمراد بالتحريف إخراج الوحي والشريعة عما جاءت به، بالتغيير في الألفاظ، أو بالكتمان، أو التأويل الفاسد، أو التفسير الباطل؛ والتوراة هو الكتاب المنزل على موسى -عليه السلام-؛ والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى -عليه السلام-. فالمفهوم بعنوان البحث "كشف القرآن عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل" كشف الله عن الأساليب التي يتبعها اليهود والنصارى في إخراج الوحي والشريعة من الكتابين اللذين أنزلهما الله تعالى على موسى وعيسى -عليه السلام-.

المبحث الثاني: كشف القرآن عن أساليب التحريف في التوراة والإنجيل

مما لا شك فيه أن التوراة والإنجيل قد أحدث فيهما التحريف سواء كان تحريفاً لفظياً أو معنوياً، ولا نزاع بين المسلمين والمسيحيين في القسم الثاني؛ لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد القديم في تفسير الآيات، التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء البروتستانت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رمياً شديداً. وأما القسم الأول - التحريف اللفظي - فقد أنكروه علماء البروتستانت في الظاهر إنكاراً بليغاً لتغليب جهال المسلمين، وأوردوا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم على سلامة الكتاب

المقدس من التحريف ليقوعوا الناظرين في الشك. (al-Hindī, 2000: 1/219) وأثبت رحمة الله هندي دليل ثابت أنه قد وقع في العهد القديم والجديد التحريف اللفظي بالتبديل، وبالزيادة وبالانقصان معا. وكذلك رد الإمام القرافي على رهبان النصراني دعواهم أن الإنجيل سالم من التحريف - بدليل أن القرآن يعظم الحواريين، ويبرزه الإنجيل عن الشك والشبهة، ويصدق ما بين يديه من الكتاب - وأثبت بالأدلة العقلية والنقلية أن الإنجيل الحالي محرف ولاشك فيه. (al-Qarāfī, 2006: 89-95) هذا، وزيادة عليه فقد كشف القرآن الكريم أن اليهود والنصارى يكتبون بأيديهم من عند أنفسهم ويقولون: هو من عند الله في حين، وفي حين آخر يلوون ألسنتهم عندما يقرؤون الكتاب ليحسب المسلمون أنه من كتاب الله؛ وكذلك هم يكتبون تعاليم التوراة، وصفات النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعض الأحكام الشرعية في وقت ما، وفي وقت آخر يلبسون الحق بالباطل ليقوعوا المسلمين في الشبهة عن الدين، وغيرها من الأساليب التي اتبعوها في عملية التحريف. وإليكم هذه الأساليب.

الأسلوب الأول: ابتكار كتب ووضعها من عند أنفسهم ونسبتها إلى الله تعالى

أشار القرآن الكريم إلى ضياع التوراة، حيث عمد علماء اليهود والنصارى وأخبارهم إلى تحريف كتاب الله تعالى، وكتبوا كتابا أودعوه آراءهم وما يضعونه ويبتكرونه مما يخالف ما أنزل الله على موسى -عليه السلام- من عقائد الدين وأحكامه، ولا مصدر لذلك إلا تأويلاتهم الزائفة الفاسدة، وقد حملوا الناس على التعبد بها، وأفسدوا عليهم دينهم موهمين عامتهم وجهالهم ممن لا يعلمون شيئا عن كتاب الله تعالى أن مصدر ذلك هو الله تعالى. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 79). هذه الآية نزلت في شأن اليهود الذين حرفوا التوراة بتغيير صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتبديل نعتة. "روى النسائي عن ابن عباس -رضي الله عنه- (الذين يكتبون الكتاب بأيديهم) نزلت في أهل الكتاب"، (Sunan al-Nisā'ī, 1/172). وذكر الواحدي: نزلت في اليهود والنصارى من أهل الكتاب الذين غيروا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبدلوا نعتة (al-Wāhidī, 1991:29).

فقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني عن تفسير هذه الآية: "كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتباً ليتأكلوا بها الناس، ثم قالوا: هذه من عند الله وما هي من عند الله" (al-Ṣan'ānī, 1989: 1/50-51).

"هذه الآية تشير إلى ما كان يفعله علماء اليهود، فهم لم يكتفوا بتحريف كتابهم المقدس ليلائم أمزجتهم وأهواءهم، بل خلطوا منته الأصلي بتفسيرهم الخاصة، وتاريخهم القومي، وخرافاتهم، وفلسفاتهم، وقوانينهم، ونظرياتهم التي صاغوها بأنفسهم. ثم قدموا هذا المزيج كله في الشكل الحالي للكتاب المقدس على أنه من عند الله، بحيث إن كل قصة تاريخية، وكل أسطورة، وكل تفسير، وكل عقيدة مبتدعة، وكل قانون محلي، ذُور في الكتاب المقدس، وحُشِر فيه حشراً أصبح عندهم من صلب كلام الله، فرض على كل يهودي أن يؤمن به كذلك، وإلا رموه بالردة أو الهرطقة والخروج" (al-Mawdūdī, 1/83).

الأسلوب الثاني: الكتمان والإخفاء قصداً لكثير من النصوص الإلهية المنزلة

لقد أشارت الآيات الآتية إلى هذا الأسلوب:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 146).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَائِهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 159).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (Sūrat al-Mā'idah: 15).

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسٍ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (Sūrat al-'an'ām: 91).

هذه الآيات كلها أشارت إلى الكتمان والإخفاء قصداً لكثير من النصوص الإلهية المنزلة.

وفي هذا الأسلوب مسألتان. فالمسألة الأولى في بيان معنى لفظ الكتمان والإخفاء والفرق بينهما. والمسألة الثانية في ذكر الأسلوب المذكور في ضوء القرآن الكريم.

المسألة الأولى: معنى لفظ الكتمان والإخفاء والفرق بينهما عند المفسرين

معنى لفظ الكتمان:

قال أبو السعود: الكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره، وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه، وهو الذي فعله هؤلاء الأخبار والرهبان من اليهود والنصارى (abū al-Sa'ūd, 1/290).

وقال ابن عاشور: الكتم والكتمان عدم الإخبار بما من شأنه أن يخبر به من حادث مسموع أو مرئي، ومنه كتم السر وهو الخبر الذي تخبر به غيرك وتأمره بأن يكتمه فلا يخبره غيره (Ibn 'āshūr, 1984: 2/67).

وقال أبو بكر الجزائري: (يكتمون) يخفون ويغلفون حتى لا يظهر الشيء الذي كتم ولا يعرف فيؤخذ به (al-Jazā'irī, 1994: 1/137).

فمعنى لفظ الكتمان الذي ينتج من جميع الأقوال المذكورة أنه يستخدم بمعنى عدم الإخبار بما من شأنه أن يخبر به.
معنى لفظ الإخفاء:

وأما لفظ الإخفاء فهو بمعنى الكتمان عند جميع المفسرين حسب ما اطلع الباحث على كتب التفسير. ومن ثم لم يذكر المفسرون معنى الإخفاء مستقلاً في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، ولكنهم اکتفوا بالإشارة، ومنهم ابن عاشور فإنه قال: الكتمان يكون بإلغاء الحفظ والتدريس والتعليم، ويكون بإزالة من الكتاب أصلاً، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ ويكون بالتأويلات البعيدة عن مراد الشارع لأن إخفاء المعنى كتمان له (Ibn 'āshūr, 1984: 2/67).

الفرق بين الكتمان والإخفاء: □

اتضح من الكلام السابق أن الكتمان والإخفاء مترادفان، ولكن عابد توفيق الهاشمي فرّق بينهما فرّقاً خفياً حيث قال: إن الإخفاء يكون لشيء معروف، ولكن أخفي وحجب عن الأنظار، أما الكتمان فهو إخفاء شيء لم يبح به ولم يعرف من قبل، وهو أشد في الوقعية والمكر (al-Hāshimī, 2000: 36).

المسألة الثانية: الأسلوب المذكور في ضوء القرآن:

وقد كتم الأخبار والرهبان من اليهود والنصارى كثيراً من الأحكام الشرعية ونعوت النبي -صلى الله عليه وسلم- التي كانت في التوراة والإنجيل اللذين نزلا على موسى وعيسى عليهما السلام. وأشار القرآن الكريم إليه في الآيات الكثيرة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ اللَّهُ يُلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي -صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك من الأحكام. وعن مجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والأصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى (abū al-Sa'ūd, 1/290).

أقسام الأمور التي كتمها اليهود والنصارى:

إذا نظرنا إلى الآيات القرآنية وجدنا أن أخبار اليهود والنصارى يكتُمون نعوت النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعض الأحكام الشرعية عن المسلمين في حين، وفي حين آخر يكتُمون تعاليم كتابهم عن عامة اليهود والنصارى؛ خوفاً من ترك اتباعهم. فالأمور التي كتمها الأخبار والرهبان ثلاثة أنواع:

الأول: بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفاته التي وجدت في التوراة والإنجيل.

الثاني: بعض الأحكام الشرعية الموجودة في التوراة والإنجيل. كما قال ابن عباس: إن جماعة من الأنصار سألوا نبراً من اليهود عما في التوراة من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن الأحكام، فكتُموا، فنزلت الآية (al-Rāzī, 4/180).

الثالث: تعاليم التوراة والإنجيل التي كتموها عن عامة اليهود والنصارى؛ خوفاً من ترك اتباعهم. كما قال أبو الأعلى المودودي: إن أفضع وأعظم جرائم علماء اليهود أنهم أحصروا تعاليم كتابهم على أخبارهم وكتّابهم المحترفين، وحجّبوا عن غير اليهود فحسب بل أخفوا عن عامة اليهود أيضاً (al-Mawdūdī, 1/115).

عملية الكتمان مستمرة ليست متوقفة:

قد دلت الآية المذكورة على أن عملية الكتمان لا تتعلق بزمان محدد، بل استمرت في كل زمان، من بداية كتابة التوراة إلى يومنا هذا وبعده؛ لأن قوله تعالى: ﴿يَكْتُمُونَ﴾ بصيغة المضارع، وهو يفيد الاستمرار. قال ابن عاشور: وقد عبّر الله تعالى في هذه الآية بصيغة الفعل المضارع عن الدلالة على أنهم في الحال كاتمون ومحرفون للبيّنات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السامع أن المعنى به قوم مضوا مع أن المقصود إقامة الحجة على الحاضرين (Ibn 'āshūr, 1984: 2/66).

وقال سيد طنطاوي: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع لاستحضار صورة هؤلاء المحرفين، والدلالة على أن أبناءهم قد نهجوا نهج آبائهم في هذا الخلق الذميمة (Tanṭāwī, 4/108).

كتمان الأخبار الحق مع علمهم بكونه حقاً وبالعقاب الذي يترتب عليه:

قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 146). قال الإمام الماوردي في تفسيره: "﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ يعني علماء اليهود وخواصهم. ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الحق هو استقبال الكعبة. والثاني: أن الحق محمد -صلى الله عليه وسلم- (الماوردي، دبت، ج 1، ص 205). وقال سيد طنطاوي: "إن أخبار اليهود

ورهبان النصارى يعرفون بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- التي جانت في التوراة والإنجيل الإلهي ويعرفون أن توجهه إلى البيت الحرام حق، كما يعرفون أبناءهم بأنهم من نسلهم، وطائفة من أهل الكتاب مع ذلك التحقيق والإيقان العلمي من أنك على حق في كل شؤونك ليتمادون في إخفائه وجوده، وكذلك هم يعلمون ما يترتب على ذلك الكتمان من سوء المصير لهم في الدنيا وسوء العقاب في الآخرة، ثم أثبت الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- والذين يؤمنون به، فأخبرهم بأن ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو الحق الذي لا شك فيه" (Tanṭāwī, 1/393).

مجىء الرسول لإظهار الأمور التي أخفاها أهل الكتاب من التوراة والإنجيل:

أرسل الله تعالى نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- هدفاً لتبيين الأمور التي أخفاها أهل الكتاب قبل مجيئه، وليعف عن كثير. كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (Sūrat al-Mā'idah: 15). "قال ابن عباس: أخفوا صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بيّن ذلك لهم، وهذا معجز لأنه -صلى الله عليه وسلم- لم يقرأ كتاباً ولم يتعلم علماً من أحد، فلما أخبرهم

بأسرار ما في كتابهم كان ذلك إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً" (al-Rāzī, 11/194). "وكان رسول الله وخاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم- قد بين لأهل الكتاب كثيراً من الأحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم، منها حكم رجم الزاني هو مما حفظوه من أحكام التوراة ولم يلتزموا العمل به، وأنكروه أمام النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقسم على عالمهم ابن سوريا وناشده الله حتى اعترف به... وكذلك أخفوا صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- والبشارات به وحرّفوها بالحمل على معان أخرى اليهود والنصارى في هذا سواء" (Rashīd Riḍā', 6/303).

تشجيع بعضهم لبعض على كتمان تعاليم التوراة:

كان أخبار اليهود والنصارى إذا اجتمعوا مع المسلمين، قالوا: أماناً، وإذا ذهبوا عن المسلمين وخلا بعضهم إلى بعض، شجع بعضهم بعضاً على كتمان أخبار التوراة وقالوا: لا تحدثوا مع المسلمين عن التعاليم التي وجدتموها في التوراة والإنجيل. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لُفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُنِّهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 76). قال الطنطاوي الجوهرى: إذا لقي منافقو اليهود - الذين ادعوا الإيمان بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- بأفواههم - المؤمنين، قالوا أماناً أن محمداً نبي كما ورد في التوراة، وإذا رجع بعضهم إلى بعض قال الأخبار والرهبان للمنافقين: أحدثون المؤمنين بما علمتم في التوراة من نعوت محمد وبشاراته؛ ليقبموا عليكم به حجة عند ربكم يوم القيامة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه أفلا تفهمون أنهم يحاجونكم (al-Jawharī. 1350 AH: 1/91).

الأسلوب الثالث: لبس الحق بالباطل لتضليل الناس والتشويش عليهم وخداعهم:

قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأسلوب. كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (Sūrat 'al 'imrān: 71).

وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 42).

معنى "اللبس" عند المفسرين:

قال أبو حيان الأندلسي: اللبس هو الخلط، كما تقول العرب: لبست الشيء بالشيء إذا خلط الشيء بالآخر أي خلطته، والتبس به أي اختلط (al-Andaūsī, 1993: 1/327). واللبس معناه "اختلاط الشيء بالشيء الآخر" وقد اتفق المفسرون على هذا المعنى - حسب ما أطلع الباحث على كتب التفسير -؛ لأنهم فسروا قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ و﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ باختلاط الحق بالباطل.

المراد بلبس الحق بالباطل:

إذا بحثنا المراد بلبس الحق بالباطل في كتب التفسير، وجدناه في صور عديدة:

أولاً: إظهار بشارة النبي من الفم وإخفاء الباطل في القلب: إظهارهم بالسننهم من التصديق بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به من عند الله، غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية (al-Ṭabarī, 5/492-493).

ثانياً: الدس في التراث الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والحديث النبوي، والتفسير القرآني، والرجال: بدأت اليهود منذ اللحظة الأولى الدس في التراث الإسلامي ولبس الحق بالباطل في هذا التراث كله، ثم تابعهم في ذلك الصليبيون خلال القرون المتطولة. فدرسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله، وفي الحديث النبوي وفي التفسير القرآني وفي الرجال أيضاً. وما يزالون مستمرين في صورة المستشرقين وتلاميذهم الذين يشغلون مناصب القيادة الفكرية اليوم في بلاد المسلمين بشكل خاص، وبشكل عام في بلاد الكفار، وما يزال هذا الكيد قائماً ومطرداً. وكذلك يوجد بعض المحاولات التي يبذلها فريق من أهل الكتاب لبلبله الجماعة المسلمة في دينها، وردها عن الهدى، بطريقة مكررة لثيمة وهي إظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه، هي تؤدي إلى فقدان ثقة بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المنتبئين من حقيقة دينهم وطبيعته (Sayyid Qutub, 1/414-415).

ثالثاً: خلط اليهودية والنصرانية بالإسلام: قال الربيع بن أنس: "لم تخطون اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، الإسلام" (al-Suyūtī, 2003: 3/624).

رابعاً: خلط الخرافات والتأويلات الباطلة بالتوراة والإنجيل: قال ابن عاشور: اختلاط الحق بالباطل هو التباس دينهم بما أدخلوا في التوراة والإنجيل الإلهي من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة (Ibn 'āshūr, 3/279). قال وهبة الزحيلي: لم تخطون الحق الذي جاء به الأنبياء بالباطل الكذب الذي لفته أخباركم ورؤساؤكم بتأويلاتهم الفاسدة، وبإلقاء الشبه، والتحريف والتبديل (Wahabat al-Zuhaylī, 1418AH).

خامساً: إلقاء الشبهة في الدين التي تدل على الباطل: لا يمكن لأحد أن يخفي الحق إلا باتباع أحد طريقتين: إما بإلقاء شبهة وشكوك تدل على الباطل، وإما بإخفاء الدليل الذي يدل على الحق، فأشار قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى الطريق الأول وقوله ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ إلى الطريق الثاني (al-Rāzī, 8/102-103). إن النصوص الواردة في التوراة والإنجيل في أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- عليكم كانت الأمور نصوصاً خفية يحتاج في معرفتها إلى الاستدلال، ثم إنهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب إلقاء الشبهات، فهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (al-Rāzī, 3/45).

سادساً: الإيمان بالحق في وجه النهار والكفر به في آخر النهار: "لقد أراد بعض من أهل الكتاب أن يشككوا المسلمين في أمر المنهج، لذلك اصطنعوا تلك الحيلة، فالمؤمنون من العرب والقريش في ذلك الزمن كانوا أميين وكانوا يعرفون أن أهل الكتاب

على علم بمنهاج السماء، ولم يكن القرآن كله قد نزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فإذا ما آمن بعض منهم برسالة رسول الله وجه النهار وكفروا به آخر النهار فهذا خلط للحق بالباطل" (al-Sha'rawī, 3/1538).

الدوافع التي تشجع أحابار اليهود والنصارى على لبس الحق بالباطل:

أولاً: ترجيع المسلمين عن دينهم: بعض المحاولات التي يبذلها فريق من أهل الكتاب لبلبله الجماعة المسلمة في دينها، وردها عن الهدى، بطريقة مكررة لئيمة هي إظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه، ليقعوا بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته في الهيرة والاضطراب. كما أشارت إليه الآية (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (Sūrat 'āl 'imrān: 72)، ففي هذه الآية بين الله تعالى واضحا الدافع الذي يُشجّع أهل الكتاب على أمر الناس بالإيمان بالحق في وجه النهار والكفر به في آخر النهار، وهو نوع من أنواع لبس الحق بالباطل، هذا الدافع هو رجوع المسلمين عن دينهم الذي ذكر في جزء أخير للآية (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يعني لعل المؤمنين يعودون عن دينهم. كما قال سيد طنطاوي في تفسيره: ولا شك أن هذه الطريقة التي سلكها بعض اليهود لصرف بعض المسلمين عن الإسلام من أقوى ما تفتق عنه تدبيرهم الشيطاني (Tantāwī, 3/187).

ثانياً: إشاعة الشك في قلوب المسلمين عن دينهم: حاول بعض أهل الكتاب أن يخدعوا المؤمنين بإعلان الإيمان أول النهار ثم إعلان الكفر آخر النهار، والهدف بطبيعة الحال هو إشاعة الشك وزراعة البلبلة في نفوس المؤمنين بخصوص هذا الدين (al-Sha'rawī, 3/1539).

"لبس الحق بالباطل" يفتح باب التحريف:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (Surat 'āl 'imrān: 71). فهذه الآية بيّنت محاولة أحابار اليهود ورهبان النصارى لإلباس الحق بالباطل، وقد حدث ذلك عندما حرفوا التوراة والإنجيل الإلهي وأدخلوا فيهما ما لم يأت به موسى -عليه السلام- أو عيسى -عليه السلام-، وفي ضمن هذه المحاولة كانت محاولات أخرى لإلباس الحق بالباطل، ثم جاءت أكبر المحاولات لإلباس الحق بالباطل وهو إنكارهم للبشارة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونعوتة الموجودة في التوراة والإنجيل، ثم بدأوا أن يكتموا بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحرفوها عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة (al-Sha'rawī, 3/1537).

الأسلوب الرابع: أسلوب شفهي لساني في التحريف بطريقة النطق للألفاظ والأحرف [إلى الألسنة]:

أشارت إلى هذا الأسلوب الآيات التالية:

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُومُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (Sūrat 'āl 'imrān: 78).

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (Sūrat al-Nisā': 46).

المراد بلي الألسنة:

قال الإمام الألوسي: اللي يكون بمعنى الانحراف والالتفات والانعطاف عن جهة إلى أخرى، ويكون بمعنى ضم إحدى نحو طاقات الحبل على الأخرى. والمراد به في الآية إما صرف الكلام من جانب الخير إلى جانب الشر، وإما ضم أحد الأمرين إلى الآخر، وأصله لوى فقلبت الواو ياءً وأدغمت (al-'alūsī, 5/48).

وقال الإمام القرطبي: المراد بقوله تعالى: (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) محاولة علماء اليهود والنصارى أن يُميلوا الحق إلى ما في قلوبهم من الأباطيل والخرافات بقتل الألسنة. وأصل اللي هو الفتل (al-Qurtubī, 2006: 6/402).

طرق لي الألسنة:

للي الألسنة طرق عديدة، وهي كما يأتي.

الأول: لي اللسان بزيادة الحرف، يقول الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتْرِيذُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (Sūrat al-Baqarah: 58).

قال الإمام النسفي: قال الله لبني إسرائيل بعدما خرجوا من التيه: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا من أطعمته وثماره حينما تشاءون، وادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة - لا إله إلا الله - أغفر لكم خطاياكم، فبدل بنو إسرائيل "حطة" بكلمة "الحنطة" - بزيادة النون - وهو حبة من شعرة (al-Nasafī, 1/49).

الثاني: لي اللسان بنقص الحرف، والثالث: لي اللسان بتغيير الحركة: قال ابن عاشور: واللي في هذه الآية يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى، وهذا مثل ما حكى الله عنهم في قولهم "راعنا"، وفي الحديث من قولهم في السلام على النبي -صلى الله عليه وسلم- "السام عليك" أي الموت، أو "السلام - بكسر السين- عليك" وهذا اللي يشابه الإشمام الاختلاس ومنه إمالة الألف إلى الياء، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف (Ibn 'āshūr, 3/291).

الرابع: لي اللسان بذكر اللفظ المشترك بين المعاني ويريد المعنى الذي توافقه أهو أوهم: ففي تفسير أبي السعود: " (وراعنا) يقول أهل الكتاب في أثناء خطابهم له -صلى الله عليه وسلم- هذا أيضاً، وهي كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارفقنا وانظرنا نكلمك، وللشر بحملها على السب بالرؤونة أي الحمق، أو بإجرائها مجرى ما يُسبُّها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسأبون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه -صلى الله عليه وسلم- بذلك ينوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام، (لِيَأْتِ بِالسِّنْتِهِمْ) أي قتلاً بها وصرفاً للكلام عن نهجه إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مُسمع لا أن سمعت مكروهها، وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا أو قتلاً بها وضماً لما يُظهرونه من الدعاء والتوقير إلى ما يُضمرونه من السب والتحقير (Abū al-Sa'ūd, 1/707).

الخامس: لي اللسان بإرادة المعنى الحقيقي، ولكن أراد الشارع المعنى المجازي: قال الأستاذ الشيخ محمد عبده: اللّي هو أن يعطي الناطق لفظ معنى آخر غير المعنى الذي يظهر منه. مثال ذلك الألفاظ التي جاءت على لسان سيدنا عيسى -عليه السلام- ككلمة ابن الله وتسمية الله أبا له وأبا للناس، فقد كان استعمالاً مجازياً، ولواه بعضهم فنقله إلى الحقيقة بالنسبة إلى المسيح وحده، أي: فهم يفسرون لفظاً بغير معناه المراد في الكتاب يوهمون الناس أن الكتاب جاء بذلك. (Rashid Riḍā', 3/345)

السادس: لي اللسان بتقسيم الكلمة الواحدة إلى كلمتين: قال أبو الأعلى المودودي: إنهم يحرفون معاني كتاب الله ويقلبون ألفاظه ليستخرجوا منها معاني أخرى، أن معنى هذه الآية الأصلي أنهم حين يتلون الكتاب يأتون على لفظ أو فقرة مما يخالف مصلحتهم وعقائدهم ونظرياتهم التي وضعوها بأنفسهم فيلون ألسنتهم فيتغير معناها ولا نعدم أمثلة لذلك بين أهل الكتاب الذين قبلوا القرآن. فبعض الذين ينكرون بشرية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرؤون الآية (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) إنَّ مَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (al-Mawdūdī, 1/83).

الاهداف من لي الألسنة:

الأول: إيقاع المسلمين في الخداع عن كلام الله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (Surat 'al 'imrān: 78). قال الزمخشري: يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب (al-Zamakhsharī, 1998: 1/573).

الثاني: تحريف التوراة والإنجيل: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَأْتِ بِالسِّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (Sūrat al-Nisā': 46). وهذه الآية بينت أن اليهود يحرفون الكلم، فأتبعته بيان عملهم الذي هو سلاح التحريف، من أقوالهم سمعنا وعصينا، وسمع غير مسمع، وراعنا ليا بألسنتهم. فالهدف الوحيد من وراء هذه الأقوال هو التحريف (Lajnat 'ulamā' al-'azhar, 1/137).

قال الثعالبي: يُلُؤُونَ معناه: يحرفون ويتحيلون؛ لتبديل المعاني من جهة اشتباه الألفاظ، واشتراكها، وتشعب التأويلات (al-Tha'ālabī, 1997: 2/64-65).

وقال صاحب روح المعاني: يفتلون ألسنتهم في القراءة بالتحريف في الحركات ونحوها تغييراً يتغير به المعنى (al-'ālūsī, 3/205).

الأسلوب الخامس: نسيان الأحيار والرهبان لنصيب وافر مما يحفظونه من نصوص التوراة والإنجيل مع تقادم الزمن وقلة من يحفظها عن ظهر قلب ومع هجر الدين وقلة الممارسة والتعليم:

قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأسلوب في قوله تعالى: (فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِّبْتَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَأُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (Surat al-Mā'idah: 13).

المراد بكلمة "النسيان":

وقد بيّن رشيد رضا في تفسير المنار ثلاثة أوجه للنسيان:

الأول: نسيان الرجل العلم الذي كان يعلمه.

الثاني: النسيان هو ترك العمل.

الثالث: النسيان هو ما أضاع اليهود والنصارى من كتابهم وفقدوه عند ما أحرق البابليون هيكلهم وخرّبوا عاصمتهم، وسبوا من أبقى عليه السيف منهم، فلما عادت إليهم الحرية في الجملة جمعوا ما كانوا حفظوه من التوراة ووعوه بالعمل، أو ذكروه في بعض مکتوباتهم لنحو الاستشهاد به، ونسوا الباقي (Rashīd Reḍā', 1/284).

وقال ابن عاشور: المراد بالنسيان: الإهمال المفضي إلى النسيان غالباً (Ibn 'āshūr, 6/144).

فالمراد بكلمة "النسيان" الذي يتضح من الكلام السابق:

أولاً: نسيان الرجل العلم الذي كان يعلمه.

ثانياً: ترك العمل.

ثالثاً: فقدان أهل الكتاب الأحكام الشرعية بمرور الزمان.

رابعاً: الإهمال المفضي إلى النسيان غالباً.

هل النسيان من أساليب التحريف؟

قد سبق ذكر أربعة أساليب من التحريف – الكتابة، والكتمان، لبس الحق بالباطل، ولي الألسنة – هذه كلها حدثت في التوراة والإنجيل بإرادة أبحار اليهود والنصارى وبأهوائهم، ولكن الأسلوب الخامس – النسيان – وهو ليس كأساليب أخرى؛ لأنه لم يحدث بإرادتهم وقد يكون عدم قدرة على الاستيعاب وهو لا يجعل صاحبه أثماً، والأساليب الأخرى بالعكس. وزيادة عليه: النسيان كان وسيلة من وسائل النسخ في الكتب التي سبقت القرآن. فالآن يأتي سؤال: هل النسيان يمكن أن يكون من ضمن أساليب التحريف؟ وهل صاحبه يكون مرتكب الذنب؟ فأجاب محمد سيد طنطاوي عن هذا السؤال، وقال: المراد بالنسيان الترك والإهمال. وينسى الإنسان شيئاً لثلاثة أسباب، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى يزول عن القلب ذكره. وهذه الأسباب الثلاثة للنسيان قد فعلها بنو إسرائيل، فهم قد أصابتهم الغفلة عن تدبر كتابهم والعمل بما فيه بسبب ضعف قلوبهم، واستيلاء المطامع والشهوات عليها وأهملوا أمر دينهم وشريعتهم ولم يقيدوا أنفسهم بها عن تعمد وإصرارٍ (Tanṭāwī, 4/108).

الأسلوب السادس: اتباع الأحكام التي توجد في التوراة والإنجيل، إن كانت موافقا لما في أنفسهم، وإلا تركوها:
وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأسلوب، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَأَلْمَنُوا مِنْ قُلُوبِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِكُفْرٍ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَفُوتُونَ إِنْ أُوْتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (Sūrat al-Mā'idah: 41). كانت عادة أبحار اليهود في عملية التحريف في التوراة أنهم يتبعون الأحكام الموجودة في التوراة وأمروا العوام أن يتبعوها بثلاثة شروط:

الأول: موافقة شؤون المجتمع مع الأحكام.
الثاني: أن لا تكون مانعة عن طريق اكتساب الأموال من العوام.
الثالث: أن لا تكون مانعة عن تسحيب قلوب السلاطين إليهم. فالمراد بالآية المذكورة إن أوتيتم الحكم بموافقة هذه الشروط فخذوه وإن توتوا الحكم بمخالفة هذه الشروط فاتركوا العمل به (Tanṭāwī, 2/239).
المراد بـ "هذا" في قوله تعالى: (إِنْ أُوْتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ) التحميم، فمعنى الآية: إن أوتيتم التحميم في مكان الرجم فخذوه وإلا فاتركوه. كما قال محمد رشيد رضا: يقول اليهود لمن أرسلوهم إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليسألوه عن حكم الرجل والمرأة زنيا منهم وأرادوا أن يحاموهم بعدم رجمهما: إن أعطيتم من قبل محمد رخصة بالجلد عوضا عن الرجم فخذوه وارضوا به، وإن لم تعطوه بأن حكم بأتهما يرجمان فاحذروا يقول ذلك والرضا به (Rashīd Reḍā', 6/389-390).

الأساليب الأخرى العامة المتبعة في عملية التحريف:

هناك أساليب أخرى ذكرها القرآن الكريم، لا تقل خطورة في تأثيرها عن الأساليب المذكورة أعلاه، ومن هذه الأساليب ما يلي:

الأول: الكذب والتكذيب: قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (Surat 'āl 'imrān: 93). اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة، كلحوم الإبل وألبانها، وادعوا أن ذلك حرمته شريعة إبراهيم -عليه السلام-. فرد الله سبحانه وتعالى دعواهم ببيان أن تناول كل الأطعمة كان مباحاً لابن يعقوب من قبل نزول التوراة، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم. وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة إبراهيم تحرم ذلك إن كانوا صادقين، فعجزوا وأفحموا (Tanṭāwī, 2/241).

الثاني: التعطيل: المقصود به تعطيل أحكام التوراة والإنجيل وعدم إقامتها والعمل بها. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (Sūrat al-Jumu'ah: 5). كلف الله تعالى اليهود بالعمل بما اشتملت عليه التوراة من هدايات وأحكام ولكنهم نبذوها وتركوا العمل بها. وحال هؤلاء اليهود الذين أنزل الله تعالى عليهم التوراة لهدايتهم ولكنهم لم ينتفعوا بها كحال الحمار الذي يحمل كتب العلم النافع، ولكنه لا يستفيد من ذلك شيئاً؛ لأنه لا يفقه شيئاً مما يحمله (Tanṭāwī, 14/490).

الثالث: الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض الآخر: قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 85). كانت حالة اليهود والنصارى أنه إذا كان في الكتاب الذي معهم نبأ محمد فجددوه، وإذا كان نبأ موسى -عليه السلام- فتمسكوا به، فهو الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض آخر (al-Razī, 3/185). قال ابن عاشور: كيف تعمدتم مخالفة التوراة في قتال إخوانكم واتبعتموها في فداء أسراهم (Ibn 'āshūr, 1/591).

الرابع: الإهمال: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 101). إن أبحار اليهود ورهبان النصارى جحدوا الكتاب وتركوا العمل به، وأنهم أبعدوه عن مجال تفكيرهم وحياتهم (Sayyid Qutub, 1/95). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (Sūrat 'āl 'imrān: 187). إن أهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهود الموثقة بأن يبينوا ما في

الكتاب ولا يكتنوا شيئا منه، لم يكونوا أوفياء بعهودهم، بل إنهم نبذوا ما عاهدهم الله عليه، وطرحوه وراء ظهورهم باستهانة وعدم اعتداد. وأخذوا في مقابل هذا النبذ والطرح والإهمال شيئا حقيرا من متاع الدنيا وحطامها، فبنس الفعل فعلهم (Tantawī, 2/484).

الخامس: الظن: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 78). إن بني إسرائيل فريقان: فريق أمي جاهل، لا يدري شيئا من كتابهم الذي نزل عليهم، ولا يعرف منه إلا أوامرا وظنونا، وإلا أماني في النجاة من العذاب، بما أنهم شعب الله المختار، المغفور له كل ما يعمل وما يرتكب من آثام! وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزور على كتاب الله، ويحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة، ويكتم منه ما يشاء، ويبيدي منه ما يشاء ويكتب كلاما من عند نفسه يذيعه في الناس باسم أنه من كتاب الله، كل هذا ليربح ويكسب، ويحتفظ بالرياسة والقيادة (Sayyid Quṭub, 1/85).

إضافة إلى كل ذلك، هناك أسلوب آخر وهو دسّ أشياء على أنها من عند الله وهي ليست من عند الله، أي كل ما حرفوه يحيلون إلى الله تعالى. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسْتَ بِرَبِّهِمْ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (Sūrat al-Baqarah: 79).

المبحث الثالث: نماذج في تطبيق أساليب التحريف

المطلب الأول: الله في الكتاب المقدس:

في التوراة تعظيم الله، واعتراف بالله الخالق الرزاق المحيي المميت الجبار القادر. ولكن هذا التمجيل لله لم يدم، فسرعان ما تدخلت أيدي الكهنة والأخبار في وصف الذات الإلهية، وتسربت الأساطير والأهواء والعقول المريضة، فتحوّلت صفات الله إلى لوحة يرسمها الكهنة ويعلقونها في معارض نزعاتهم وغرائزهم التي أقاموها داخل أروقة التوراة. فأريد أن أنقل بعض أوصاف الله تعالى من الكتاب المقدس التي أضافها الكهنة والأخبار في التوراة وقالوا هذه كلها من كلام الله.

أولا: الرب يأمر نبيه حزقيال بأن يمشي حافيا عاريا وبأكل البراز: في ذلك الوقت قال الرب ليد إشعيا بن أموص: "أذهب وحلّ المسح عن حقوك واخلع حذاءك عن رجليه". ففعل هكذا ومشى معرّى وحافيا (alā abū Bakr, 2006: 57). وجاء في سفر حزقيال: وتأكّل كعكا من الشعير. على الخبز الذي يخرج من الانسان تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. فقلت: "أه" يا سيد الرب! ها نفسي لانتجس. ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 875).

الرد: فهذا كلام الكتاب المقدس يدل على أن الله تعالى أمر نبيه حزقيال -عليه السلام- بأن يمشي حافيا وبأكل البراز النجس ثم ينكر حزقيال -عليه السلام- ويتعزّر منه تعالى بـ "أه" يا سيد الرب! ها نفسي لانتجس. ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس. الآن سؤال إلى أخبار اليهود ورهبان النصارى، هل يمكن لله تعالى أن يأمر نبيه أن يأكل النجس؟ وهل يمكن للنبي يتعزّر إلى الله تعالى بأنه ظاهر لا يريد أن ينجس نفسه؟ طبعا الجواب يكون سلبيا؛ لأنه يتّبت النقص في ذات الله تعالى، وهو محال. إن يكون هكذا، فهل الكلام المذكور في الكتاب المقدس من عند الله أو من عند أخبار اليهود ورهبان النصارى؟ فالجواب العدل هو الكلام هذا من قبل الثاني، يضيفون في الكتاب ثم ينسبون إلى الله تعالى ليتأكلوا بها أموال الناس بالباطل.

ثانيا: يعقوب يصارع مع الله وغلب عليه:

جاء في سفر تكوين: "ثم قال في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يثوق. أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له. فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعه معه. وقال: "أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر". فقال: "لا أطلقك إن لم تباركني". فقال له: "ما اسمك؟" فقال: "يعقوب"، فقال: "لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 39).

الرد: فهذه الصفة - الله مغلوب في مصارعة مع يعقوب - مذكورة في الكتاب المقدس. هناك أريد أن أوجه سؤالين إلى أتباع اليهودية والنصرانية: هل يمكن لأحد أن يغلب على الله؟ الجواب إما يكون نعم أو لا. إن يكون نعم فلا يوافق الفلاسفة بالاتفاق؛ لأنهم قالوا: "الصفة الناقصة لا تكون للذات الكامل"، والله هو ذات كامل. وإن يكن لا فهو يلزم سؤال آخر، وهو هل الكلام الذي ذكره الكتاب المقدس عن يعقوب -عليه السلام- من عند الله؟ طبعا الجواب يكون لا. وفي الحقيقة، لا يخجل اليهود والنصارى أن يُثبتوا لله تعالى الأوصاف الناقصة تعصبا على اتباع أخبارهم ورهبانهم، حتى لا يستحيوا على إجراء قراءتها في كنائسهم ومعابدهم.

المطلب الثاني: حديث الكتاب المقدس عن الأنبياء:

الأنبياء هم أعظم البشر وأظهرهم على الإطلاق وأفضلهم، ويفترض لحاملي رسالة الله وكلامه أن يكونوا كذلك. لكن الكتاب المقدس يقدم لنا أنبياء بمواصفات قطاع الطرق والمجرمين. يصف أنبياء الله وكأنهم مجموعة من الرجال يحملون صفات المجون والخلاعة والشر لدرجة أنهم لا يستطيعون التحكم بنزواتهم وشهواتهم. وذلك الكتاب المقدس الذي يتهم أفضل الأنبياء

بقتل الفضيلة واعتقال النموذج، ويتهم الأنبياء بالزنا ويرميهم بالفاحشة ويلوثهم أمام أتباعهم؛ فإبتائاً لذلك أريد أن أنقل كلام الكتاب المقدس الذي ادعوا عنه أنه من كلام الله.

أولاً: تلويث طهارة نبي الله لوط - عليه السلام - وبناته:

في الوقت الذي عاش فيه إبراهيم - عليه السلام - عاصره نبي آخر وهو لوط - عليه السلام -، الذي عانى من قومه المصائب الكثيرة بسبب كفرهم وشذوذهم الجنسي. لَوَّث الكتاب المقدس طهارة لوط - عليه السلام - وبناته كما جاء في سفر التكوين: "وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه فنحبي من أبنينا نسلا. فسقتنا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلي واضطجعي معه فنحبي من أبنينا نسلا. فسقتنا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه "موآب". وهو أبو الموابين إلى اليوم. والصغيرة أيضًا ولدت ابناً ودعت اسمه "بن عمي" وهو أبو بني عمون إلى اليوم" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 20).

الرد: هكذا يمزق الكتاب المقدس لوطا وابنتيه الطاهرتين المؤمنتين الهاربتين من قرية القذارة سدوم، الهاربتين مع أبيهما من جرائم الزنا واللواط والشذوذ. فتاتان قال عنهما أبوهما النبي قبل خروجه من قريته الفاسقة: "لي بنتان ما ضاجعتا رجلا" (Sawyānī, 2004: 68). والزنا بمن؟ بابنتيه. هل يمكن أن يكون هذا الكلام من عند الله؟ العقل السليم لا يوافق أبداً. ولعل كاتب الكتاب المقدس أراد هدفاً بعيداً هو تشويه نسب الموابين وبني عمون. لكن هل العنصرية تبلغ برجال الدين إلى درجة تشويه الأنبياء وأبنائهم وبناتهم. الآن ننظر إلى نبي الله داود - عليه السلام - كيف تعامل معه الكتاب المقدس؟

ثانياً: نبي الله داود - عليه السلام - يتهم بارتكاب ما لا يرتكبه أخس المجرمين:

كلنا نعرف داود - عليه السلام - نبيا الذي آتاه الله علماً غزيراً وجسماً ونظيراً، وهو الأواب التقي النقي الذي يصوم يوماً ويفطر يوماً، وهو القائد الشجاع الذي قضى على جالوت. هذا النبي العظيم الكريم يتهمه الكتاب المقدس بالاغتصاب والخيانة والنذالة والعدو والخسة. كما نرى في الكتاب المقدس: "وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأةً تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: "أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أورياً الحثي؟". فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: "إني حبلى...". فلما سمعت امرأة أورياً أنه قد مات أورياً رجلها، ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابناً. وأما الأمر الذي فعله داود ففجح في عيني الرب" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 372-373).

الرد: إن في هذه القصة من النذالة والخسة والجبن ما لا يتوفر في قاطع طريق قذر. ومع ذلك يجعل كهنة الكتاب المقدس هذا العمل الجبان منسوباً لنبي عظيم كريم كداود - عليه السلام -.

وهذا نبي الله سليمان - عليه السلام - يتهمه الكتاب المقدس بالكفر والزنا والتعبد للأوثان، ويقول عنه: وكانت عنده الحباتب من النساء الغريبة. يقول الكتاب المقدس: "وأحب الملك سليمان نساءً غريبةاً كثيرةً مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات... كان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمعن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 414).

الرد: التوراة والإنجيل موجودان اليوم باسم العهد الجديد والعهد العتيق ظاهرة وعقيدة بشرية بحتة، لم يقل بها كل الأنبياء قبل موسى وعيسى - عليه السلام -، ولا بعدهما حتى موسى وعيسى - عليهما السلام -، وليس لهما في التوراة والإنجيل أي إشارة صريحة واضحة إلى أن فيهما شيئاً من شغول الأنبياء في الجرائم والفواحش. لاسيما وأنهما لم يكتبتا العهد الجديد والعتيق، ولم يأمرتا بكتابتهم، ولم يملياهما على أحد، ولم يقرناهما، ولم يقرناهما. كما ذكر بكر زكي عوض في كتابه "المدخل إلى علم مقارنة الأديان بين اليهودية والمسيحية والإسلام": أن التوراة جملة وباقي أسفار العهد القديم لم يتم تدوينها بين يدي أنبيائها. اللهم إلا بعض نصوص دونت على المذبح، أو بعض تعاليم أمر الرب موسى بكتابتها ليحفظها تذكراً في مسامع الشعب خاصة يشوع. أما العهد الجديد فالمقطوع به أنه لم يدون في حياة المسيح شيء منه على وجه الإطلاق (Bakar Jakī, 2005: 48).

المطلب الثالث: كلام الفواحش في التوراة الذي يخجل به الناس عند القراءة:

في الوقت الذي ينتظر فيه أتباع التوراة نموذجاً جميلاً قابلاً للتطبيق، نموذجاً قابلاً للوجود، نموذجاً واقعياً معتدلاً يشبع الغرائز ويسمو نحو الفضيلة، في الوقت نفسه نجد الكتاب المقدس يفشل فشلاً ذريعاً في تقديم ذلك النموذج، بل إن التوراة - في بعض فقراتها - تتحول إلى منشور إباحي مخجل تخجل كل الكنائس من تلاوته في دور عبادتها. ولا أدري كيف تخجل تلك الكنائس

من ذلك وهي التي تقول إن هذا الذي تخجل منه هو كلام الرب المقدس عن الخطأ والنقص. وهذه الكلمات الفاحشة التي تتكلمها التوراة كالتالية:

ما أجمل رجلين بالنعلين يا بنت الكريم! دوائر فخذيك مثل الحلي، صنعة يدي صناع. ثرتك كأس مدورة، لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياك كخشفتين، توأمي طيبة. عنقك كبرج من عاج. عيناك كالبرك في خشبون عند باب بث ربيم. أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق. رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان. ملك قد أسر بالخصل. ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة بالذات! فأمتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد. قلت: إنني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم، ورائحة أنفك كالتفاح، وحنكك كأجود الخمر (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 736).

الرد: قد يقول هذه الكلمات شاعر ماجن مخمور، أو يغنيها سكران في ملهى رخيص، لكن أن يقولها نبي، أن تنسب لكتاب الله، أن تنسب لدين سماوي فشيء لا يصدقه إلا معتوه.

المطلب الرابع: كتمان حكم رجم الزاني الموجود في التوراة عن المسلمين وعامة اليهود:

وقد كتم أحبار اليهود والنصارى حكم رجم الزاني المحصن، عندما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن حكمه وأحكم عليهما الرجم، ثم تركوه وحاولوا أن يكتموه، ولكن ظهر الحق من فم عبد الله بن سوريا حبر اليهود كما نرى في قوله تعالى: ﴿يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (Sūrat al-Mā'idah: 41). قال الإمام البغوي: "إن رجلاً من اليهود يسمى يهودا، وامرأة تسمى بسرة من أهل خيبر، زنيا وكنانا قد أحصنا، فكرهت اليهود رجمهما من أجل شرفهما، فقالت يهود خيبر: نبعث بهذين إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- ... فمشى حتى أتى أحبارهم في بيت المدارس، فقال: يا معشر اليهود! أخرجوا إلي علماءكم، فأخرجوا إليه عبد الله بن سوريا، وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهودا، فقالوا: هؤلاء علماءنا، ثم حصر أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن سوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة، فجاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وكان ابن سوريا غلاماً شاباً، ومع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن سلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... هل وجدتم في كتابكم أن الرجم على من أحصن؟ قال ابن سوريا: اللهم نعم، ولولا أنني خفت أن أحترق بالنار، أو أهلك بالعذاب، لكتمتكم حين سألتني، ولم أعترف لك، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الله أكبر، فأنا أول من أحيا سنة من سنن الله عز وجل" (al-Baghawī, 1989: 3/55-56).

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن اليهود جاءوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأثروا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد! فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرجما قال عبد الله: "فرايت الرجل يجنأ على المرأة يقبها الحجارة" (al-Bukhārī: 3/133/3436). ويوجد حكم رجم الزاني في الكتاب المقدس، ولكنهم كتموه عن عامة اليهود، وتركوا تطبيقه ليتقرب الناس منهم. كما نرى في الكتاب المقدس: "إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة. فتنزع الشر من إسرائيل. إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدتها رجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموا بالحجارة حتى يموتا. الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه. فتنزع الشر من وسطك" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 235).

المطلب الخامس: كتمان نعوت وبشارات النبي -صلى الله عليه وسلم-:

إن أهل الكتاب يجدون اسمه ونعته مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ووجود اسمه ونعته في كتبهم من أكبر الدواعي إلى الإيمان به وتصديقه واتباعه، ولقد كان اليهود يبشرون ببعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل زمانه ويقروون في كتبهم ما يدل على ذلك، فلما بعث الله تعالى نبيه بالهدى ودين الحق آمن منهم الذين فتحوا قلوبهم للحق، وخافوا مقام ربهم ونهوا أنفسهم عن الهوى، وأما الذين استنكفوا واستكبروا، وحسدوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- على ما آتاه الله من فضله فقد أخذوا يحذفون من كتبهم ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها، أو يؤولونه تأويلاً فاسداً أو يكتمونونه عن عامتهم. ورغم حرصهم على حذف ما جاء عن الرسول في كتبهم أو تأويلهم السقيم له، أو كتمانهم عن الأميين منهم، أراد الله تعالى أن يظهر بالوحي إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي كان في التوراة والإنجيل من بشارات ونعوت النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيفية تعاملهم مع هذه البشارات والنعوت. كما نرى في القرآن الكريم عشرات من الآيات. ومنها:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

(وَأَذْ قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [الصف:6]. هذه شهادة القرآن الكريم عن بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- في الإنجيل. ولندكر الآن شهادة "الكتاب المقدس" - يوجد لدى اليهود والنصارى - بمقدم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وصفاته العديدة.

البشارات في إنجيل "يوحنا" من العهد الجديد:

جاء في إنجيل يوحنا: "وأما المعزي الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 144).

قال الإمام القرافي: "الفارقليط عند النصارى الحماد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المخلص، ونبينا -صلى الله عليه وسلم- مخلص الناس من الكفر، وهو المعلم لكل شيء. ولذلك قال يهودي لبعض الصحابة -رضي الله عنهم-: "لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراة، فقال: أجل، لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة بيول أو غائط" (Muslim, 1/223,262). وسمى المسيح -عليه السلام- روح الحق، وهو غاية المدح" (al-Qarāfī, 360).

وفي إنجيل يوحنا: "لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي - الفارقليط -، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذلك يُبَيِّنُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنوا بي. وأما على بر فلأنني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضا. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين. إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Jadīd: 146).

قال الإمام القرافي: "ففي هذه البشارات عدة مقاصد منها:

الأول: أنه -عليه السلام- أخبر أن الآتي أفضل منه، لقوله: إن خيرا لكم أن أنطلق ليأتي الفارقليط.

الثاني: معنى قوله "إن ذهبت أرسله إليكم"؛ لأن المصطفى عليه موقوف على ذهاب المسيح -عليه السلام-، فالمسيح -عليه السلام- تحقق إرساله بذهابه.

الثالث: إن الآتي يُبَيِّنُ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وقد بكت -عليها السلام- اليهود والنصارى والمجوس والعرب، فإنه وجد الجميع ضالين.

الرابع: أنه أخبر أن الآتي يرشد إلى جميع الحق، ويقول ما لم يقله المسيح -عليه السلام-؛ لأنه لم يأت بجميع الآداب الربانية وكل الأخلاق المرضية وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة.

الخامس: الشهادة لنبينا -عليه السلام- أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتكلم بما يوحي إليه. ولم يأت من هذه صفاته ولا يأتي إلا نبينا -صلى الله عليه وسلم- فيكون هو الموعود به جزما (al-Qarāfī, 364-365).

وفي إنجيل يوحنا: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزيا - الفارقليط - آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Jadīd: 144).

قال الإمام القرافي: "والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته، ورسالة نبينا -صلى الله عليه وسلم- باقية على مر الأيام والدهور. ومستمرة إلى يوم البعث والنشور فيكون هو الموعود به صوتنا لقول المسيح -عليه السلام- عن الخلل" (al-Qarāfī, 361).

البشارات في إنجيل "متى" من العهد الجديد:

وجاء في إنجيل متى: "وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Jadīd: 3).

"ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم، انصرف إلى الجليل. من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Jadīd:4).

"هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلا: إنه قد اقترب ملكوت السموات" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Jadīd: 13).

قال رحمة الله الهندي: ظهر أن كلا من يحي وعيسى والحواريين بشر بملكوت السموات، وبشر به عيسى -عليه السلام- بالألفاظ التي بشر بها يحيى -عليه السلام-، فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى -عليه السلام- فكذلك لم يظهر في عهد عيسى -عليه السلام- ولا في عهد الحواريين، بل كل منهم مبشر به ومخبر عن فضله. فلا يكون المراد بملكوت السموات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى -عليه السلام-. وإلا لما قاله عيسى -عليه السلام- والحواريون أن ملكوت السموات قد اقترب، ولما علم التلاميذ أن يقولوا في الصلاة وليأت ملكوتك لأن هذه طريقة قد ظهرت بعد ادعاء عيسى -عليه السلام- النبوة بشريعته، فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد -عليه السلام- (al-Hindī, 2/225).

البشارات في "التثنية" من العهد القديم:

وجاء في التثنية: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 250).

قال أبو الفضل المالكي المسعودي – من علماء القرن العاشر الهجري -: "فسيناء جبل التجلي الذي كلم الله فيه موسى، وساعير جبل الخليل بالشام، وكان المسيح يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بني هاشم الذي كان – يتعبد فيه نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-. فقد خصت نبينا بزيادة على موسى وعيسى حيث قال معه الربوات الأطهار عن يمينه وذلك كناية عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-... وذلك كله بمكة وهو يؤيد ما حملناه عليه من ظهوره من فاران. إذ لم يأت منها ما ظهر منه أمره إلا سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- (al-Mas'ūdī, 1993: 258-259).

وفي التثنية أيضاً: "أقيم لبني إسرائيل نبيا من وسط إخوانهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 231).

وقال الإمام القرافي: لم يخرج من إخوة بني إسرائيل من أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره، لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم، والله تعالى يقول لهم: ما أمره به يجعله أمرا مستأنفا؛ لأنه قال مثلك، ولم يخرج مثله في الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-، فيكون هو الموعود به (al-Qarafi, 358).

البشارات في "التكوين" من العهد القديم:

وجاء في التكوين: "وأما في إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة" (al-Kitāb al-Muqaddas, 2008, al-'ahd al-Qadīm: 44).

قال رحمة الله الهندي: قوله أجعله لشعب كبير يشير إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنه لم يكن في ولد إسماعيل -عليه السلام- من كان لشعب كبير غيره. وقد قال الله تعالى ناقلا دعاء إبراهيم وإسماعيل -عليه السلام- في كلامه المجيد أيضا: ﴿رَبِّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (al-Baqarah: 129)، (al-Hindī, 2/225).

وقال أبو الفضل المالكي المسعودي: الاثني عشر رئيسا فهم أجداد محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين كان هو نورا في أصلابهم إلى أن أظهره الله للعالم فكان اعظم العظماء، وأكرم الكرماء (al-Mas'ūdī, 356).

فيتضح من الكلام السابق: أنه قد وجدت بشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل المنزّلين على موسى وعيسى -عليهما السلام- مع ذكر اسمه "أحمد"، مصداقا لكلام الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6]. ولكنهم كتموه ومسحوه من الكتاب حسدا وخوفا من رياسته عليهم. وفي الصفات والبشارات الموجودة فيهما، حاولوا أن يكتموا من المسلمين وعامة اليهود والنصارى في حين، وفي حين آخر، حاولوا أن يحرفوه بالتأويل الفاسد من أهوائهم، وبالإضافة، أنهم غيروا أحكام الله تعالى بأحكام مناسبة مع إرادة الحكماء والسلاطين.

ثمرة ما سبق في الدراسة:

أساليب التحريف التي كشفها القرآن	
17 آية عن أساليب التحريف	11 أسلوبا للتحريف
سورة البقرة: 42، 78، 79، 85، 101، 146، 159، المائدة: 13، 15، 41، الأنعام: 91، آل عمران: 71، 78، 93، 187، النساء: 46، الجمعة: 5.	(1) ابتكار كتب ووضعها من أنفسهم ونسبتها إلى الله. (2) الكتمان والإخفاء لكثير من النصوص الإلهية. (3) لبس الحق بالباطل لتضليل الناس وخداعهم. (4) لي الألسنة. (5) نسيان الأحبار والرهبان من نصوص التوراة والإنجيل. (6) اتباع الأحكام التي توجد في التوراة والإنجيل، إن كانت موافقا لما في أنفسهم، وإلا تركوها. (7) الكذب والتكذيب. (8) التعطيل. (9) الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعض الأخر. (10) الإهمال. (11) الظن.
ثلاثة أمور التي حدث فيها التحريف	
(1) بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفاته. (2) الأحكام الشرعية الموجودة في التوراة والإنجيل. (3) التعاليم الأخرى الموجودة في التوراة والإنجيل.	

الخاتمة

قد رفعت هذه الدراسة حجاب شناعة أعمال أحبار اليهود ورهبان النصارى المتعلقة بالتحريف في التوراة والإنجيل الإلهي؛ طلباً للرئاسة، وكسباً لأموال الناس بالباطل، وحباً للسلطان. نذكر هنا بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، وهي في التالي:

- المراد بالتحريف إخراج الوحي والشريعة عما جاءت به، بالتغيير في الألفاظ، أو بالكتمان، أو بالتأويل الفاسد والتفسير الباطل.

- سبع عشرة آية من القرآن كشفت عن أحد عشر أسلوبا اتبعها الأخبار والرهبان في أنشطة التحريف، وهي ما يأتي: ابتكار كتب ووضعها من عند أنفسهم ونسبتها إلى الله تعالى؛ والكتمان والإخفاء قصدا لكثير من النصوص الإلهية المنزلة؛ لبس الحق بالباطل لتضليل الناس والتشويش عليهم وخداعهم؛ أسلوب شفهي لسان في التحريف بطريقة النطق للألفاظ والأحرف - لي الألسنة -؛ نسيان الأخبار والرهبان نصيباً وافرًا مما كانوا يحفظونه من نصوص التوراة والإنجيل مع تقادم الزمن وقلة من يحفظها عن ظهر قلب ومع هجر الدين وقلة الممارسة والتعليم؛ واتباع الأحكام التي توجد في التوراة والإنجيل، إن كانت موافقة لما في أنفسهم، وإلا تركوها؛ والكذب والتكذيب؛ والتعطيل؛ والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض الآخر؛ والإهمال؛ والظن.
- إن أتباع اليهود والنصارى فريقان. فريق أمي جاهل، وهم لا يعرفون شيئاً من الكتاب إلا الظن، وهم مغفور لهم كل ما يعملون وما يرتكبون من آثام. وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزور على كتاب الله، ويحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة، وهم آثمون يعذبون يوم القيامة.
- الأمور التي حرفها اليهود والنصارى هي ثلاثة: بشارات النبي -صلى الله عليه وسلم- وصفاته؛ والأحكام الشرعية الموجودة في التوراة والإنجيل؛ وتعاليم التوراة والإنجيل الأخرى.
- وأخيراً أسأل الله سبحانه أن يسدد قلبي، وأن ينفع بقلمي، ويتقبل مني، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

References:

- [1] al-Qurān al-Karīm.
- [2] al-Kitāb al-Muqaddas. 2008. al-Qēhirah: Dār al-Kitāb al-Muqaddas, Version-7, Publish-4.
- [3] Abū al-Sa'ūd, Muḥammad al-'imādī al-Ḥanafī. No. Irshād al-'aqlu al-Salīm 'ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm. al-Riyād: Maktabat al-Riyād al-Ḥadīthah.
- [4] Abū Hayyān al-Andalūsī, Muḥammad Athir Uddīn. 1993. al-Baḥru al-Muḥīt fī al-Tafsīr. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'arabiyyah.
- [5] Al-'alūsī, Shihāb al-dīn Maḥmūd ibn 'abdillāh. No. Rūḥ al-Ma'ānī Fī Tafsīr al-Qurān al-'azīm wa al-Sab'ī al-Mathānī. Bayrūt: Dār 'ihyā' al-Turāth al-'arabī.
- [6] al-Baghawī, Abū Muḥammad al-Ḥasan ibn Mas'ūd. 1989. Ma'ālim al-Tanzīl. Al-Riyād: Dār al-Ṭayyibah.
- [7] al-Hāshimī, 'ābid Tawfīq. 2000. al-Tarbiyyat Fī al-Tawrāh. Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah.
- [8] al-Hindī, Raḥmat Allāh ibn Khalīl al-Dīn. 2000. 'izhār al-Ḥaqq. Al-Qēhirah: Dār ibn al-Haitham.
- [9] al-Jawharī, Abū Naṣr Ismā'īl ibn Ḥammād. 1999. al-Ṣiḥāh Taj al-Lughat wa Ṣiḥāh al-'arabiyyah. Bayrūt: Dār 'ihyā' al-Turāth al-'arabī.
- [10] al-Jazā'irī, Abū Bakr Jābir. 1994. 'aysar al-Tafāsīr. al-Madīnat al-Munawwarah: Maktabat al-'ulūm wa al-Ḥikam.
- [11] al-Marāghī, Aḥmad Muṣṭafā. 1946. Tafsīr al-Marāghī. Misr: Sharikat Maktabat wa Maṭba'at Muṣṭafā.
- [12] al-Maudūdī, Abū al-'alā. 1978. Tafhīm al-Qurān. al-Kuwīt: Dār al-Qalam.
- [13] al-Māwardī, Abū al-Ḥasan al-'alī. No. al-Nakt wa al-'uyūn Tafsīr al-Māwardī. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'arabiyyah.
- [14] al-Nasā'ī, Abū 'abd al-Raḥmān Aḥmad. 1990. Tafsīr al-Nasā'ī. Bayrūt: Mu'assasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah.
- [15] al-Nisābūrī, Nizām al-Dīn. 1996. Gharā'ib al-Qurān wa Raghā'ib al-Furqān. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'arabiyyah.
- [16] al-Qarāfī, Abū al-'abbās al-Ṣanhājī. 2006. al-'ajwibat al-Fājirah 'an al-'as'ilat al-Fājirah. al-Qēhirah: Maktabat wahabah.
- [17] al-Qurtubī, Abū 'abdillāh Muḥammad. 2006. al-Jāmi' li Aḥkām al-Qurān. Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah.

- [18] al-Rāzī, abd Raḥmān Abū Ḥātim. 1997. Tafsīr al-Qurān al-'azīm. al-Riyād: Maktabat Nazzār Muṣṭafā al-Bāz.
- [19] al-Sha'rawī, Muḥammad Mutwallī. 2008. Khawāṭirī Ḥawla al-Qurān al-Karīm. al-Qēhirah: al-Maktabat al-waqfiyyah.
- [20] al-Shāṭibī, Abū 'ishāq al-Gharnāṭī. 2003. al-'i'tisām. al-Qēhirah: Dār al-Ḥadīth.
- [21] al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. 2003. al-Durr al-Manthūr Fī al-Tafsīr bi al-Ma'thūr. al-Qēhirah: Markaz Hijr li al-Buḥūth wa al-Dirāsāt al-'arabiyyah wa al-Islāmiyyah.
- [22] al-Ṭabarī, Abū Ja'far Muḥammad ibn Jarīr. 2001. Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl 'ā'i al-Qurān. Markaz al-Buḥūth wa al-Dirāsāt al-'arabiyyah wa al-Islāmiyyah, Dār al-Hijr.
- [23] al-Tha'ālabī, 'abd al-Raḥmān ibn Muḥammad Abū Zayd al-Malikī. 1997. al-Jawāhir al-Ḥassān Fī Tafsīr al-Qurān. Bayrūt: Dār 'ihyā' al-Turāth al-'arabī.
- [24] Al-wāḥidī, abū al-Ḥasan al-Nīsābūrī. 1991. Asbāb al-Nizūl. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'imiyyah.
- [25] Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd. 1998. Al-Kashshāf 'an Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl. al-Riyād: Maktabat al-'uyūn.
- [26] al-Zubaydī, Muḥibb al-Dīn al-Wasiṭī. No. Tāj al-'urūs min Jawāhir al-Qāmūs. Misr: al-Matba'at al-Khayriyyah.
- [27] al-Zuḥaylī, wahabah ibn Muṣṭafā. 1996. al-Tafsīr al-Mūnir. Dimashq: Dār al-Fikr al-Mu'āshir.
- [28] Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad al-Taymī. 1981. Mafātīḥ al-Ghayb. Lubnān: Dār al-Fikr.
- [29] Ibn 'āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. 1984. al-Taḥrīr wa al-Tanwīr. Tūnis: al-Dār al-Tūnsiyyah.
- [30] Ibn Hīmām al-Ṣan'ānī, Abd al-Razzāq. 1989. Tafsīr al-Qurān. al-Riyād: Maktabat al-Rushd.
- [31] Ibn Kathīr, abū al-Fidā' Ismā'il ibn 'umar al-Qurashī al-Damishqī. 2000. Tafsīr al-Qurān al-'azīm. al-Qēhirah: Mussasat Quṭubah.
- [32] Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Mukarram al-'afrīqī. No. Lisān al-'arab. Bayrūt: Dār 'ihyā' al-Turāth al-'arabī.
- [33] Ibn Taymiah, Aḥmad ibn 'abd al-Ḥalīm. 2005. al-Jawāb al-Ṣaḥīḥ Liman Baddala Dīn al-Msīh. al-Qēhirah: Dār al-Ḥadīs.
- [34] Ibn Taymiah, Aḥmad ibn 'abd al-Ḥalīm. 2005. Majmūat al-Fatāwā. al-Qēhirah: Dār al-wafā'.
- [35] Lajnat Ulamā' al-Azhar. No. Tafsīr al-Muntakhab Fī Tafsīr al-Qurān al-Karīm. al-Qēhirah: al-Majlis al-'alā al-Misrī li al-Shu'ūn al-'islāmiyyah.
- [36] Makkī, Ṣadiq. 1995. Mawsū'at al-adyān al-Samāwiyyah wa al-wadd'iyyah: al-Diyānat al-Islāmiyyah. Bayrūt: Dār al-Fikr.
- [37] Murīs Būkāy. 1999. Al-Tawrāt wa al-Injīl wa al-Qurān al-Karīm bi Miqyās al-'ilm al-Ḥadīth. al-Mamlakat al-'arabiyyah al-sa'udiyyah: Maktabat al-Sa'ī.
- [38] Muṣṭafā, Ibrāhīm wa 'ākharūn. No. al-Mu'jam al-wasīṭ. No. Turkiyā: al-Maktabat al-Islāmiyyah.
- [39] Qiṭb, Sayyid. No. Fī Zilāl al-Qurān. al-Qēhirah: Dār al-shurūq.
- [40] Rashīd Riḍā', al-Sayyid Muḥammad, 1947. Tafsīr al-Manār. al-Qēhirah: Dār al-Manār.
- [41] Ṭanṭawī, Muḥammad Sayyid. 1987. al-Tafsīr al-Wasīṭ li al-Qurān al-Karīm. al-Qēhirah: Dār al-Risālah.
- [42] Ṭanṭawī, Muḥammad Sayyid. 2000. Banū 'isrā'il Fī al-Qurān wa al-Sunnah. al-Qēhirah: Dār al-Shurūq.